الأكاديميا في زمن الحرب على غزّة

بين قبضة الملاحَقة ومحدوديّة الفاعليّة:

الطلبة فلسطينيّو الـ 48 في الجامعات الإسرائيليّة في أعقاب حرب الإبادة على قِطاع غزّة

يوسف طه

حزيران 2025

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية

ملف الأكاديميا في زمن الحرب على غزّة (2)

بين قبضة الملاحَقة ومحدوديّة الفاعليّة: الطلبة فلسطينيّو الـ 48 في الجامعات الإسرائيليّة في أعقاب حرب الإبادة على قِطاع غزّة

حزيران 2025

يوسف طه
ناشط طلّابيّ، حاصل على الماجستير في العلوم الإنسانيّة

محرّرا الملف: همّت زعبي وعلي موسى

العنوان: شارع هميچنيم، 90 حيفا
البريد الإلكتروني: mada@mada-research.org
رقم الهاتف: 04-8552035

ملخَّص

تسعى الورقة إلى تتبُّع الملاحَقة السياسيّة والممارَسات القمعيّة التي واجهتها الطالبات الفلسطينيّات والطلّاب الفلسطينيّون من مناطق الـ 48، في الجامعات الإسرائيليّة، خلال فترة حرب الإبادة على قِطاع غزّة، التي اندلعت عقب السابع من أكتوبر 2023، والتي تراوحت بين التهديد بالفصل والتحويل إلى لجان الطاعة والاعتقال. وعلى نحوٍ مُوازٍ، تتناول الورقة أداءَ الحركات الطلّابيّة والفاعليّة الذاتيّة الفلسطينيّة إزاء هذه الحملة.

في البداية، تتطرّق الورقة إلى التحوُّلات في فاعليّة الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في الجامعات الإسرائيليّة، وتُقدِّم خلفيّةَ وأسبابَ تضعضُع فاعليّتها ونشاطها في العَقْدَيْن الأخيرَيْن، وكذلك تعرّج على استهداف الحركة الطلّابيّة من قِبل السلطات الإسرائيليّة، والتي برزت على نحوٍ خاصّ منذ هبّة الكرامة عام 2021. تدّعي الورقة أنّ هذَيْن العامِلَيْن (استهدافَ الطلّاب والطالبات الجامعيّين، وإضعافَ وضعف الحركة الطلّابيّة) أسهَمَا في إحباط قدرة الحركات الطلّابيّة على التصدّي بفاعليّة للهجمة الشرسة التي اشتدّت بعد حرب الإبادة على قِطاع غزّة.

مقدّمة

تشير معطيات مجلس التعليم العالي في إسرائيل إلى أنّ الطلّاب الفلسطينيّين من مناطق الـ 48 يشكّلون ما نسبته 19% من إجماليّ عدد الطلّاب الكلّيّ في الجامعات والكلّيّات الإسرائيليّة؛ إذ في العام 2023 كان عددهم 61,550 طالبًا عربيًّا من أصل 332 ألف طالب جامعيّ في إسرائيل.[1]

على مستوى الداخل الفلسطينيّ، شكّلت الحركات الطلّابيّة، على مدار عقود من الزمن، حالةً سياسيّة وفكريّة وحزبيّة هامّة، وكان لها وزن مجتمعيّ وسياسيّ امتدّ إلى خارج أسوار الجامعات،[2] وكان للطلبة العرب والحركات الطلّابيّة دَوْر بارز في هبّة يوم الأرض عام 1976 وهبّة أكتوبر عام 2000. منذ نشأتها، مُثّلت في الحركة الطلّابيّة في الفكر، وأيضًا في النشاطات، التيّارات الفكريّة السياسيّة والحزبيّة المختلفة للفلسطينيّين في الداخل بما في ذلك حركة الأرض، وأبناء البلد، والتجمّع الطلابيّ، والتيّارات السياسيّة الإسلاميّة -الحركة الإسلاميّة الجنوبيّة وكتلتها "القلم" والحركة الإسلاميّة الشماليّة تحت مسمّى "اقرأ"-، والتيّار الشيوعيّ المتمثّل بالحزب الشيوعيّ والجبهة الطلّابيّة في الجامعات.[3]

في السنوات الأخيرة، لم تنجح الحركات الطلّابيّة في الحفاظ على ذات الحضور والنشاط القويّ؛ وذلك لأسباب مختلفة، أبرزُها عدم قدرة الحركات الطلّابيّة الفلسطينيّة على مجاراة هَيْمَنة الجامعات واتّحادات الطلّاب الإسرائيليّة في قضايا تقديم الخدمات الطلّابيّة. فقد أسهَمَ تفوُّق هذه المؤسَّسات اقتصاديًّا في تغييب لجان الطلّاب العرب والاتّحاد القُطْريّ للطلّاب الجامعيّين (وهي هيئات منتخَبة من قِبل الطلبة العرب تُمثّلهم أمام المؤسَّسات الأكاديميّة). كذلك كان لحظر الحركة الإسلاميّة الشماليّة والحركة الطلّابيّة "اقرأ"، وهي التي قامت بدَوْر بارز على الساحة الطلّابيّة إلى أن حُظِرَت إسرائيليًّا عام 2015، دَوْرٌ إضافيّ في إضعاف الحركات الطلّابيّة في الداخل.

فضلًا عن هذا، أسهم تشكيل القائمة المشترَكة، على نحوٍ ما، في تراجع الحركات الطلّابيّة. فإلى جانب غياب المنافَسة الفكريّة بين الأحزاب، اتّكلت الأحزاب على القائمة المشترَكة، معتبِرةً إيّاها جسمًا من شأنه أن يحافظ على وجودها دون كثير من الاستثمار والجهد في المؤسَّسات الحزبيّة أو الطلّابيّة، فتراجع استثمار الأحزاب في الحركات الطلّابيّة والشبابيّة، وهو ما أسهَمَ في إضعافها.

1. مجلس التعليم العالي. (2023، 28 كانون الأوّل). افتتاح سنة التعليم الأكاديميّة 2023\ 2024. مجلس التعليم العالي. [بالعبريّة]
2. مصطفى، مهنّد. (2011). الحركة الطلّابيّة العربيّة في الجامعات الإسرائيليّة. اقرأ، الجمعيّة العربيّة لدعم التعليم في المجتمع العربيّ.
3. مصطفى، مهنّد. (2002). الحركة الطلّابيّة العربيّة الفلسطينيّة: دراسة نظريّة وتاريخيّة في جدليّة الجامعة والسياسة. أمّ الفحم: مركز الدراسات المعاصرة.

لم يَدُمْ هذا التراجع طويلًا؛ إذ في نهاية العَقْد الأوّل من القرن الحاليّ، بدأت الحركة الطلّابيّة في الداخل باستعادة دَوْرها، وبرز هذا في البداية في جامعة تل أبيب، التي نشطت داخل حرمها خمس حركات طلّابيّة فلسطينيّة: حركة رؤية، وجفرا- التجمُّع الطلّابيّ، والجبهة الطلّابيّة، ومنتدى إدوارد سعيد- وهي حركة ثقافيّة وطنيّة غير حزبيّة-، ومنتدى طلّاب الحقوق الذي يعمل على تنظيم طلبة الحقوق في الجامعة. اقتصر العمل الطلّابيّ الجدّيّ على جامعة تل أبيب، وظهر بصورة أكثر تواضعًا في جامعة حيفا، بينما تغيّبت الحركة الطلّابيّة في جامعات بئر السبع والتخنيون وبار إيلان، وبرز غيابها على نحوٍ خاصّ في الجامعة العبريّة بالقدس- وهي التي طالما شكّلت حالة طلّابيّة محوريّة تاريخيًّا.

تكرّرت محاولات استعادة تنظيم الحركات الطلّابيّة، حزبيّة كانت أَمْ ثقافيّة أَمْ دينيّة، في جامعات أخرى إلى أن استعادت الحركات الطلّابيّة نشاطها في معظم الجامعات.

منذ العام الدراسيّ 2017- 2018، برز دَوْر الحركة الطلّابيّة من خلال تنظيم نشاطات عديدة كان لها تأثير كبير وتفاعل طلّابيّ واسع، وقد برز ذلك على نحوٍ خاصّ في فعّاليّات إحياء ذكرى النكبة التي تحوّلت إلى أحد أهمّ النشاطات لدى الحركات الطلّابيّة في الداخل، وبخاصّة في فعل رفع العلَم الفلسطينيّ داخل الجامعات الإسرائيليّة؛ إذ تشهد هذه الجامعات إحياء ذكرى النكبة سنويًّا عبْر نشاطات مختلفة برزت من بينها على وجه الخصوص النشاطاتُ التي نظّمتها الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في جامعتَيْ تل أبيب وبئر السبع عام 2022، وعلى وجه التحديد في الخامس عشر من أيّار.

رافق هذه الفترةَ تحريضٌ إسرائيليّ واسع، وشهدت تقييدات وقوانين مختلفة ترمي إلى منع مثل هذه النشاطات. فعلى سبيل المثال، في أعقاب نشاطات إحياء ذكرى النكبة عام 2022، قامت إدارة جامعة بئر السبع بتحويل ناشطين في الحركة الطلّابيّة في الجامعة إلى لجان الطاعة، وذلك بذريعة تنظيم نشاطات غير قانونيّة داخل الحرم الجامعيّ، وبتهمة استخدام مفردات أو تعابير تحرّض على الإرهاب والعنف، ككلمة "شهداء" -على سبيل المثال- التي جرى تحويل طالبة استخدمتها إلى لجنة الطاعة في الجامعة.[4]

أمّا في جامعة تل أبيب، فقد اعتقلت الشرطة ثلاثة طلبة من ناشطي الحركة الطلّابيّة، واعتدت عليهم بالضرب المبْرِح، وحاولت منع استمرار فعاليّة إحياء ذكرى النكبة، إلّا أنّ النشاط استمرّ وسط رفع مئات الأعلام الفلسطينيّة- وهي التي زادت التحريض إلى حدّ كبير.

جرى اعتقال الطلبة الثلاثة في مَدخل الجامعة؛ وهو تابع مباشرة للجامعة، ولطالما كانت تتولّى المسؤوليّةَ عنه عبر أمنها الخاصّ، إلّا أنّها في هذا النشاط، إحياء ذكرى النكبة من قبل الحركات الطلّابيّة الفلسطينيّة في جامعة تل أبيب، سمحت بتدخُّل الشرطة الإسرائيليّة بقرار استثنائيّ من إدارتها. وقد رفعت يدها عن هذا الحدث رغم حصوله في حيّز الحرم الجامعيّ، وهو ما أدّى إلى اعتداء الشرطة على الطلبة العرب رغم اعتداء أذرع اليمين عليهم، وقد اعتُدِيَ على الطلبة العرب واعتُقِلوا قبل أن يبدأ النشاط، وذلك ابتغاءَ ترهيب بقيّة الطلبة العرب من المشارَكة في هذا النوع من النشاطات.[5] قامت الشرطة وقتذاك بتمديد اعتقال بعض الطلبة ليوم ويومَيْن، وشهدت جلسات المحاكم تظاهرات طلّابيّة واسعة رفضًا لسياسات الاعتقال والملاحَقة تجاه الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في جامعة تل أبيب.[6]

4. عرب48. (2023، 09 آذار). جامعة بئر السبع تلغي الإجراءات ضدّ طالبة استخدمت كلمة شهداء. عرب48.

5. عرب48. (2022، 15 أيّار). جامعة تل أبيب: اعتقال طلّاب عرب ومشاركة واسعة بمراسيم النكبة. عرب48.

6. عرب48. (2022، 17 أيّار). تمديد اعتقال الطالب في جامعة تل أبيب أحمد جبارين ليوم واحد. عرب48.

بداية تصعيد الاستهداف

تلا تلك النشاطاتِ حملةُ تحريض إسرائيليّةٌ واسعة على الحركات الطلّابيّة الفلسطينيّة الفاعلة في الجامعات الإسرائيليّة، قادَتْها حركةُ "إمْ تِرْتْسُو"[7] اليمينيّة التي تعمل في الجامعات على نحوٍ خاصّ. وصدر بعض هذا التحريض من سياسيّين ونوّاب في الكنيست وإعلاميّين، ووصلت هذه الموجة التحريضيّة الواسعة إلى أروقة الكنيست الإسرائيليّ. فبعد يوم من إحياء ذكرى النكبة عام 2022، شهد الكنيست الإسرائيليّ في 16 أيّار 2022 جلسة صاخبة تخلّلتها حملة تحريض على الحركات الطلّابيّة الفلسطينيّة، وعلى وجه التحديد بسبب إحياء ذكرى النكبة في جامعتَيْ تل أبيب وبئر السبع ورفع العلم الفلسطينيّ فيهما.

افتتح تلك الجلسةَ الصاخبةَ رئيسُ المعارضة، آنذاك، بنيامين نتنياهو قائلًا: "هذه أيّام حمراء فيها يجري تجاوز خطوط حمراء. كلّنا نرى لهيب النار الذي يريد أن يقتلنا جميعًا. الأعلام الفلسطينيّة تُرفع في كلّ مكان في إسرائيل. جميعنا رأينا تلك التظاهرة الكبيرة للنكبة في جامعة تل أبيب ("الشيخ مونّس"- كما يسمّيها هؤلاء). في قلب تل أبيب هذا يحدث، بينما من يرفع علَم إسرائيل عليه أن تكون لديه جرأة ليقوم بذلك. هذا ما يحصل الآن في دولة إسرائيل. يا لَلعار!".[8]

بعد أسبوع من القيام بتلك النشاطات، عُرِض اقتراح قانون يهدف إلى منع رفع الأعلام الفلسطينيّة في الأحرام الجامعيّة وأُقِرَّ بالقراءة التمهيديّة، استغلّ بعض أعضاء الكنيست مساحة الدقيقة التي تتاح لكلّ عضو كنيست للتحدّث عن كلّ اقتراح قانون مقدَّم، لمتابَعة التحريض على الحركة الطلّابيّة وعلى نشاط إحياء ذكرى النكبة في الجامعات الإسرائيليّة. في مناقشة اقتراح القانون، توعَّدَ وزير الأمن السابق يوآف چالانت، الذي كان آنذاك عضو معارضة، بنكبة جديدة، مذكّرًا بإسقاطات النكبة، وعبّر في خطابه عن غضب شديد تجاه ما تقوم به الحركات الطلّابيّة قائلًا: "نحن نشهد في الأسابيع والأيّام والساعات الأخيرة زيادة الأعمال الإرهابيّة التي تأتي من المجتمع العربيّ في إسرائيل، وهي أوّلًا خطيرة للعرب في إسرائيل وليس للدولة، وربما أقول هناك رسالة للعرب أن لا يخطئوا، وأودّ أن أشرح ما أقصد... الجريمة المنتشرة في المجتمع العربيّ باتت تأخذ توجُّهًا قوميًّا، وما حصل في الأيّام الأخيرة في جامعة تل أبيب وجامعة بئر السبع، هذا خطر كبير عليكم [موجِّهًا رسالته إلى العرب]. قبل أربعة وسبعين عامًا جرّتكم قيادتكم حسن سلامة وأمين الحسيني إلى حرب كانت نتيجتها الهروب من البلاد، وأنا أقول لكم: لا تعودوا إلى نفس الخطأ. سيأتي وقت تتجاوزون فيه الخطّ الأحمر، وعند ذاك سيكون الثمن باهظًا جدًّا. إذا استمررتم في هذا الأداء، فسنصل إلى مكان اللا-عودة؛ وأنا أتعهّد لكم ألّا يكون ذلك، وأنا أعرف كيف أقوم بعمليّات وأستعمل القوّة، وهذا ما سيكون عند قيام حكومة الليكود الجديدة عمّا قريب".[9]

وفي تعقيب على اقتراح القانون، قال عضو الكنيست عن الليكود يسرائيل كاتس، خلال خطابه على منصّة الكنيست في 23 أيّار 2022: "أنا أتوجّه إلى الطلبة العرب في الجامعات الذين يرفعون الأعلام الفلسطينيّة وأقول لهم: تذكّروا حرب عام 1948. تذكّروا حرب استقلالنا ونكبتكم. هو استقلالنا ونكبتكم. اسألوا الكبار عندكم وأجدادكم الذين سيؤكّدون لكم أنّ اليهود في النهاية سينهضون ويدافعون عن أنفسهم. إيّاكم أن تشدّوا الحبل أكثر من المتاح، ولا تجلبوا للمجتمع العربيّ في إسرائيل كارثة أخرى كما كان في النكبة".[10]

---

7. تأسّست حركة "إم ترتسو" في العام 2006 بمبادرة شخصيّات يمينيّة بارزة كان في مقدّمها رونين شوفال الذي لا يزال يترأّسها حتّى عام 2025، وإيرز تدمور الذي نشط في حزب **الليكود**، وكانا من بين المشاركين في "برنامج القيادة الشابّة" التابع لمعهد **الإستراتيجيّة الصهيونيّة**. تُعرِّف "إمْ تِرْتْسُو" نفسها بأنّها منظّمة يمينيّة صهيونيّة محافِظة تسعى إلى تعزيز "**القِيَم الصهيونيّة**" في إسرائيل والحفاظ على "دولة إسرائيل كدولة قوميّة للشعب اليهوديّ"، وذلك من خلال السعي إلى تجديد الخطاب والفكر والأيديولوجيا **الصهيونيّة** في المجتمع الإسرائيليّ وفي أوساط جيل الشباب ليكون مؤهّلًا لقيادة الدولة في المستقبل- بدوي، عبد القادر. (2023، 2 أيّار). "إمْ تِرْتْسُو: إمّا الصهيونيّة وإمّا الفناء": أشدّ جمعيّات اليمين الصهيونيّ تطرُّفًا وعنصريّة. **المشهد الإسرائيليّ، مدار- المركز الفلسطينيّ للدراسات الإسرائيليّة**.

8. قناة الكنيست. (2022، 16 أيّار). جلسة الهيئة العامّة للكنيست– قسم ج. **قناة الكنيست**. [بالعبريّة]

9. المرجع السابق.

10. قناة الكنيست. (2022، 23 أيّار). جلسة الهيئة العامّة في الكنيست– قسم ج. **قناة الكنيست**. [بالعبريّة]

في الخطاب ذاته، استذكر كاتس ما كان في سبعينيّات القرن العشرين في الجامعات محرِّضًا على د. عزمي بشارة، في إشارة إلى أنّ هذا المشهد يذكّر بما كان في تلك السنوات. آنذاك شهدت الأحرام الجامعيّة مظاهرات صداميّة للحركات الطلّابيّة ضدّ اليمين الإسرائيليّ برز فيها بشارة، واعتُقِل خلالها مرّتَيْن واعتُبِر أحد رموزها البارزين. وكذلك ذكر الحركة الإسلاميّة مهدّدًا بقوله: "إنّنا أخرجناها عن القانون والباقون في الطريق"، ليَخْلص إلى ما يلي: "نحن سنلقّنكم درسًا لن تنسَوْه أبدًا، وسنضع لهذا الإرهاب في الجامعات حدًّا، ولن نسمح لكم بالاستمرار في هذا الاتّجاه، وسيأتي يوم تخسرون فيه كلّ ما حصلتم عليه وكلّ ما لديكم".[11]

لم تكن مقارنة كاتس ما يحصل في الجامعات في إحياء ذكرى النكبة عام 2022 بفترة سبعينيّات القرن العشرين من قَبيل المصادفة. لقد اعتبر كثيرون السبعينيّات فترة ذهبيّة عاشتها الحركة الطلّابيّة من خلال نشاطها البارز وقتذاك،[12] وقامت فيها الحركة الطلّابيّة بدَوْر بارز في هبّة يوم الأرض عام 1976. عُدَّت تلك الفترة نقطة مفصليّة ومُهِمّة في إقامة الاتّحاد القطْريّ للطلّاب العرب الذي كان عزمي بشارة أوّل رئيس له، وقام بدَوْر مركزيّ وقياديّ في تأسيسه؛ إذ تصدّرت الحركة الطلّابيّة في الداخل إذّاك الحركة الطلّابيّة في الجامعة العبريّة في القدس التي خرجت منها قيادات سياسيّة عديدة في الحركة السياسيّة الفلسطينيّة في الداخل. تأتي هذه المقارَنة تأكيدًا على أنّ إسرائيل تتعامل بجِدّيّة فائقة مع حالة نهوض الحركات الطلّابيّة الفلسطينيّة في السنوات الأخيرة، وأنّ في نيّتها ما هو أبعد من مجرّد ضبطها، بل فيها تهديداتٌ واضحة للطرد وتكرار النكبة والقمع، ومحاولةٌ على نحوٍ جادّ وفعّال لمنع عودة تأثير الحركة الطلّابيّة وللتأكيد على أنّ التعامل سيكون أكثر شدّة وأكثر قمعًا ممّا كان عليه الأمر في تلك الفترة.

بعد مرور أسبوع واحد على جلسة الكنيست الصاخبة، في 23 أيّار 2022، صدّق الكنيست الإسرائيليّ في 1 حزيران 2022، بالقراءة التمهيديّة، على حظر رفع علَم فلسطين في المؤسَّسات الأكاديميّة التي تتلقّى تمويلًا من الدولة، وذلك بأغلبيّة 63 عضوًا مقابل معارضة 16 فقط. تَقدَّم باقتراح القانون هذا أعضاءُ كنيست من الليكود، وانضمّ له أقطاب حكومة بِنِتْ وائتلافه الحكوميّ رغم أنّ بِنِتْ كان قد تعهَّدَ برفض التصويت على أيّ قانون يطرحه الائتلاف حينذاك، إلّا أنّهم توحّدوا حول هذا القانون وسُجِّل غياب يائير لپيد رئيس الحكومة البديل آنئذٍ وجميع نوّاب حزبه. رئيس المعارضة بنيامين نتنياهو قال بعد التصويت على القانون: "لقد أقررنا الآن في الكنيست قانون العلَم الذي يَحظر رفع علم منظَّمة التحرير الفلسطينيّة في المؤسَّسات التي تموّلها الدولة، ويؤكّد أنّ إسرائيل لديها علم واحد فقط؛ ونحن سنعيد إسرائيل إلى اليمين. هذا يوم مهمّ لدولة إسرائيل ولمستقبل الدولة اليهوديّة".[13]

وردًّا على إقرار القانون، أصدرت التجمُّع الطلابيّ بيانًا جاء فيه: "العلم الفلسطينيّ هو علمنا الوطنيّ، وهو أحد الرموز التي تعكس هُويّتنا كطلبة فلسطينيّين في كلّ مكان، داخل الجامعات الإسرائيليّة وخارجها، وأيّ قانون جائر يُقصد منه نزع الوعي الوطنيّ من نفوس طلّابنا سنردّ عليه بالاحتفاء وبالتشبّث أكثر فأكثر بهذه الرموز". وأضاف البيان قائلًا: "لطالما وضعْنا التمسّك بهُويّتنا وبوعينا الوطنيَّيْن في مركز عملنا الطلّابيّ، ولطالما واجهْنا بثبات وإصرار سياسات المحو والأَسْرَلة التي تنتهجها المؤسَّسة الإسرائيليّة منذ النكبة وحتّى يومنا هذا، ولن تنجح هذه المحاولات الغبيّة ونستمر بتأكيدنا على انتمائنا التامّ لشعبنا الفلسطينيّ رغم كلّ هذه القوانين الغبيّة".[14]

كذلك استنكرت الجبهة الطلّابيّة إقرار هذا القانون، وجاء في بيانها تعليقًا عليه: "إنّ منع رفع العلم الفلسطينيّ هو تنكُّر لكلّ الاتّفاقيّات والأعراف الدوليّة، ومسّ بحرّيّة التعبير وحرّيّة التظاهر وحرّيّة الفكر. رفع العلم الفلسطينيّ ليس وليد الأحداث الأخيرة، بل رفعناه في الجبهات الطلّابيّة في بداية نشاط الحركة الطلّابيّة في الجامعات الإسرائيليّة، ولكن المساس بحرمة الجامعة وفرض أَجِنْدة سياسيّة يمينيّة عليها هو استمرار لمحاولات حثيثة لمنع شرعيّة العلَم

11. المرجع السابق.

12. غسّان، ديمة. (2018، 08 نيسان). الحركة الطلّابيّة في الداخل الفلسطينيّ المحتلّ ومعركة الوجود والصمود. **نون پوست**.

13. شاليف، طال. (2022، 01 حزيران). القانون الذي قسم الائتلاف الحكوميّ: منع رفع الأعلام الفلسطينيّة بالقراءة التمهيديّة. **والا**. [بالعبريّة]

14. عرب48. (2022، 02 حزيران). الكنيست يصادق على قانونَيْن يستهدفان وجود الشعب الفلسطينيّ وعَلَمه. **عرب48**.

الفلسطينيّ ووجودنا كطلّاب عرب فلسطينيّين في الجامعات".[15]

على الرغم من محاولات تصدّي الحركات الطلّابيّة لسياسات القمع هذه، استمرّت حمْلة ملاحَقة الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة، واتّخذت أشكالًا مختلفة وأساليب متنوّعة، كان منها أن قدّمت حركة "إمْ تِرْنْسُو" اليمينيّة طلبًا إلى جامعة تل أبيب بحظر كتلة "جفرا- التجمُّع الطلّابيّ" في جامعة تل أبيب، وذلك بذريعة الهتاف بشعارات داعمة للإرهاب على إثر تظاهرة طلّابيّة ضدّ عدوان الجيش الإسرائيليّ على مدينة جنين في شباط 2022، وهو ما رفضته الجامعة على نحوٍ رسميّ من خلال رسالة نائب رئيسها ردًّا على طلب الحظر،[16] إلّا أنّ الجامعة بعد شهر من هذا الطلب منعت كتلة "جفرا" من تنظيم معرضها السنويّ للكتاب، بحجّة تضمّنه كتبًا تحريضيّة.[17]

تلا ذلك إقرار قانون آخر -بالقراءة التمهيديّة فقط- أكثر شموليّةً من القوانين السابقة، يستهدف عمل ونشاط الكتل الطلّابيّة العربيّة على نحوٍ واضح. ما رمى إليه مقترح القانون هو إخراج كتل طلّابيّة عن القانون وفصل الطلبة الفاعلين فيها من الجامعات إن عبّروا عن دعمهم للنضال الفلسطينيّ، الذي أسماه نصّ القانون بالإرهاب، ورفعوا أعلام العدوّ، أي العلَم الفلسطينيّ، حيث صودِق على هذا القانون بالقراءة التمهيديّة بأغلبيّة 50 عضو كنيست، ورفضه 32 آخرون.[18] وكما في محاولات قمع سابقة، أصدر كلّ من التجمّع الطلّابيّ والجبهة الطلّابيّة بيانًا احتجاجيًّا إثر التصديق على القانون.[19]

في وقت سابق، في بداية عام 2023، صدر أمر للشرطة الإسرائيليّة من وزير الأمن القوميّ آنذاك، إيتمار بن چڤير، يُحظَر بموجِبه رفع العلَم الفلسطينيّ، وذلك وَفقًا لصلاحِيَته كوزير يسيطر على جهاز الشرطة. على أثر هذا، أصدر المفوَّض العامّ للشرطة، كوبي شبتاي، أمرًا لجهاز الشرطة يمنع رفع الأعلام الفلسطينيّة، وهو ما تعمل عليه الشرطة باستمرار منذ ذلك الحين.[20] من الجدير بالذكر أنّ الحركة الطلّابيّة في جامعة تل أبيب تحدَّتْ قرار بن چڤير وقامت برفع مئات الأعلام الفلسطينيّة خلال إحياء ذكرى النكبة في أيّار 2023.[21]

لم يقتصر القمع على جامعة تل أبيب، بل طال الجامعات المختلفة في إسرائيل، ومن خلاله حاولت الجامعات فرض سياسات الضبط والسيطرة والقمع على الطلّاب والطالبات من فلسطينيّي الـ 48. على سبيل المثال، في جامعة حيفا، التي يُعَدّ فيها العرب ذوي العدد الأكبر مقارنة بسائر الجامعات،[22] حُظِر كلّ نشاط احتجاجيّ داخل الجامعة، بل لقد بلغت محاوَلات القمع حدَّ تهديد الطلبة بفصلهم إن جرى نشاط من هذا القَبيل. فضلًا عن ذلك، تشهد الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في الجامعة انتهاكًا صارخًا لحقوق الحركات الطلّابيّة؛ إذ تستخدم الجامعة الأدوات البيروقراطيّة لتعطيل نشاطات الحركة الطلّابيّة فتتدخّل هناك في المضامين، وتمنع استخدام مصطلحات وتعابير معيَّنة، نحو: الطلّاب الفلسطينيّون؛ الشعب الفلسطينيّ؛ القضيّة الوطنيّة... كذلك تُلزِم الجامعة الحركاتِ الطلّابيّةَ الفلسطينيّة بترجمة منشوراتها إلى العبريّة قبل توزيعها، كي يتسنّى لممثّلي الجامعة أن يتابعوا ويراقبوا ما فيها من مضامين، إضافة إلى

15. بانيت؛ وصحيفة بانوراما. (2024، 15 أيّار). الجبهة الطلّابيّة في جامعة تل أبيب تُحْيي ذكرى النكبة. **بانيت**.

16. عرب48. (2023، 15 شباط). جامعة تل أبيب تردّ طلب حركة "إمْ تِرْنْسُو" بحظر كتلة جفرا- التجمّع الطلّابيّ. **عرب48**.

17. عرب48. (2023، 19 آذار). جامعة تل أبيب تمنع حركة جفرا من تنظيم معرض كتاب للطلّاب العرب. **عرب48**.

18. الجرمق الإخباريّ. (2023، 20 تمّوز). المصادقة على مشروع قانون لحظر حركات طلّابيّة فلسطينيّة.. وجفرا: مستمرّون بعملنا الطلّابيّ. **الجرمق الإخباريّ**.

19. وجاء في بيان التجمُّع الطلّابيّ: "القوانين العنصريّة لن تَثنينا عن الاستمرار بالعمل الطلّابيّ الوطنيّ في الجامعات الإسرائيليّة، بل تزيدنا عزيمةً وإصرارًا على المضيّ قُدُمًا وتوسيع عملنا ونشاطنا بشكل أكبر لأنّ هذا القانون يثبت بشكل لا يقبل التأويل مدى ارتباكهم من عمل ونشاط حركتنا الطلّابيّة الذي يتجاوز تأثيره أروقة الكنيست ويعطي أملًا لشعبنا في جميع أماكن تواجده بوجود طلّاب فلسطينيّين متفوّقين ومتميّزين ومنتمين لشعبهم وقضيّتهم في الجامعات الإسرائيليّة وينخرطون بالعمل الطلّابيّ الوطنيّ والثقافيّ". وجاء في بيان الجبهة الطلّابيّة: "إنّ قانون حظر الحركات الطلّابيّة وملاحقة النشطاء السياسيّين هو مسّ بحرّيّة التعبير، ومسّ بالأقلّيّة العربيّة الفلسطينيّة، كما أنّها محاولة للسيطرة على الحيّز الأكاديميّ. ولا شكّ أنّ هذه المحاولة تتقاطع مع محاولاتهم السيطرة على الجهاز القضائيّ في الدولة، وتفصيل الأكاديميا على مقاس اليمين الفاشيّ لخدمة مطامعه الاحتلاليّة وتقويض حقّ الشعب الفلسطينيّ في تقرير المصير وإنهاء الاحتلال وتقويض عمليّة الحِوار والسلام"- بانيت؛ وصحيفة بانوراما. (2022، 01 حزيران). الجبهة الطلابية :' نستنكر تمرير قانون منع رفع العلم الفلسطيني بالقراءة التمهيدية'. **بانيت**.

20. براينر، يهوشوع (جوش). (2023، 08 كانون الثاني). بتوجيه بن چڤير، مفوَّض الشرطة شبتاي أمر ببدء العمل على منع رفع العلم الفلسطينيّ. **هآرتس**. [بالعبريّة]

21. دلّاشة، عمر. (2023، 15 أيّار). إحياء ذكرى النكبة في جامعة تل أبيب. **عرب48**.

22. تبلغ نسبة الطلبة العرب في جامعة حيفا نحو 44% مِن طلبة البكالوريوس، وَ33% من طلبة الماجستير والدكتوراة. انظر/ ي: دائرة الإحصاء المركزيّة. (2023، 28 كانون الأوّل). التعليم العالي في إسرائيل– معطيات منتقاة للسنة التعليميّة (2022/ 2023) لافتتاح سنة التعليم الأكاديميّة. **دائرة الإحصاء المركزيّة**. [بالعبريّة]

تكتيكات تعطيل نشر إصدارات الحركة الطلّابيّة من خلال اشتراط النشر بالموافَقة التي تستغرق مسارًا بيروقراطيًّا طويلًا، إذا تمّت الموافقة عليها أصلًا. أحيانًا، يستغرق هذا الأمر أسابيع، وبالتالي تَحُول الإجراءات الطويلة دون توزيع هذه الإصدارات، وذلك لتأخُّر الوقت وعدم مناسبتها للحدث (أي إنّها تقوم بسياسات ضبط على نحوٍ مختلف).

أمّا في جامعة بار إيلان، فهناك منع غير رسميّ لتشكُّل أيّ تحرُّك طلابي فلسطيني فيها؛ إذ منذ عام 2023 قُدِّم طلب رسميّ لتسجيل كتلة طلّابيّة باسْم "جفرا- التجمّع الطلّابيّ" في الجامعة، ولا زالت الجامعة على مدار هذه الفترة الطويلة تماطل وترفض الموافَقة على إقامة هذا الجسم داخل الجامعة، وفي الوقت ذاته تنشط بعض الكتل الطلّابيّة اليمينيّة التي تعمل وسط تعاون وثيق مع إدارة الجامعة والنقابة الطلّابيّة فيها. وقد تقدّم مؤخّرًا مركز عدالة القانونيّ بطلب رسميّ للجامعة بوقف هذه المماطلة وتسجيل الكتلة في الجامعة.[23]

شكّلت هذه المرحلة تحدّيات عظيمة أمام العمل الطلّابيّ الفلسطينيّ في الجامعات الإسرائيليّة، وبات واضحًا لمن يعمل في الحقل الطلّابيّ أنّ الرقابة وسياسات الضبط والملاحَقة، بل التهديد كذلك، هي عنوان هذه المرحلة، وقد يكون في هذا تأكيد على حجم وتأثير الحركة الطلّابيّة. قابلت الحركات الطلّابيّة هذه السياسات بصلابة وأظهرت تمسُّكًا وتماسكًا، وقامت بتحرُّكات جريئة في ظلّ واقع صعب وتحدّيات كبيرة. استطاعت الحركة الطلّابيّة، في تلك الفترة، أن تفرض نفسها لاعبًا مؤثّرًا في الساحة السياسيّة على صعيد المجتمع الفلسطينيّ في الداخل والتعامل من قِبل المؤسَّسة معها. وقد وصلت الأمور إلى حدّ عَقْد جلسات برلمانيّة في طارئة في الكنيست ومداولات في اللجان المختلفة وتقديم اقتراحات قوانين كردّ فعل مباشر على نشاطات الحركة الطلّابيّة السياسيّة والوطنيّة في الجامعات الإسرائيليّة.

الحركة الطلّابيّة والحرب على قِطاع غزّة

يمكن اعتبار السياسات والممارَسات التي اتّبعتها الجامعات الإسرائيليّة المختلفة قبل السابع من أكتوبر 2023 تمهيدًا لِما قامت به بَعده. فقد شهدت الأيّام الأولى من الحرب على قِطاع غزّة حملة من قِبل هذه الجامعات على طلبتها الفلسطينيّين، من مناطق الـ 48، بمشاركة النقابات الطلّابيّة الإسرائيليّة والزملاء اليهود الذي قاموا بدَوْر وُشاة على الطلبة العرب كما سنوضّح لاحقًا. يؤكّد هذا ما أشرنا إليه آنفًا: أنّ هذه السياسات والممارَسات لم تُخلَق من فراغ، بل هي استمرار وتصعيد مباشر للتحريض ومحاولات التشديد والقمع وملاحَقة العمل الطلّابيّ الوطنيّ الفلسطينيّ في الجامعات الإسرائيليّة على مدار السنوات التي سبقت بداية حرب الإبادة على قِطاع غزّة.

تصدّرت جامعة حيفا هذه الجولة من حملات التحريض، وبدأت حملةَ القمع هذه، التي انضمّت إليها عشرات الجامعات والمعاهد في إسرائيل، بدعم وتوجيه من وزير التعليم والأذرع الحكوميّة الرسميّة.[24] ففي 12 تشرين الأوّل 2023، أي بعد أقلّ من أسبوع على بداية الحرب، وجّه يوآف كيش، وزير التربية والتعليم الإسرائيليّ، رسالة إلى رؤساء المؤسَّسات الأكاديميّة يطالبهم بالتبليغ لمجلس التعليم العالي بشأن الخطوات التي اتّخذوها بالتعامل مع طلبة يعبّرون عن تأييدهم "للإرهاب" والتعامل معهم بيدٍ من حديد.[25] على نحوٍ متزامن، استدعت الجامعات الإسرائيليّة أكثر من 150 طالبًا وطالبة لِلِجانٍ سُمّيت لجان الطاعة.[26] تناولت معظم هذه اللجان تُهَمًا للطلّاب والطالبات تتعلّق بمنشورات نُشِرت في وسائل التواصل الاجتماعيّ. تحوّلت معظم تلك اللجان إلى ما يشبه التحقيقات المخابراتيّة بشأن آراء الطلبة وتصوُّراتهم ومواقفهم السياسيّة دون علاقة مباشرة بمضمونِ ما نشروه.[27]

23. عدالة. (2024، 14 تشرين الثاني). تسجيل الكتلة الطلّابيّة جفرا في جامعة بار إيلان. **رسالة مركز عدالة القانونيّ لإدارة جامعة بار إيلان**. (محفوظة لدى الكاتب). [بالعبريّة]

24. حاج يحيى، ضياء. (2023، 09 تشرين الأول). طلّاب من جامعة حيفا لموقع عرب48: ما يحدث هو انتقام من الطلّاب العرب. عرب48.

25. وزير التربية والتعليم. (2023، 12 تشرين الأوّل). التعامل مع حالات التحريض على الإرهاب لطلّاب وعاملين في المؤسَّسات الأكاديميّة. رسالة وزير التعليم لرؤساء الجامعات والكلّيّات. (محفوظة لدى الكاتب). [بالعبريّة]

26. بويرات، أمير علي. (2023، 15 تشرين الثاني). الجامعات الإسرائيليّة تستدعي 160 طالبًا عربيًّا خلال الحرب على غزّة: اعتقال طلبة بعد أسابيع من ذلك. عرب48.

27. لجنة المتابعة والتوثيق. (2024، كانون الثاني). عمل الهيئة الطلّابيّة المشتركة والهيئة العربيّة للطوارئ. **الهيئة الطلّابيّة المشتركة**. (محفوظ لدى الكاتب).

طرحت لجان الطاعة على الطلبة[28] -في أساس ما طرحت- أسئلة سياسيّة وفكريّة لا تتعلّق بتاتًا بنصّ المنشور أو فحواه، بل أخذت منحًى آخَر بغية الإيقاع بالطلبة ووضْعهم في خانة الاتّهام. من الجدير بالذكر أنّ أكثر من 90 بالمئة من الملفّات كانت عن مشارَكات لقصص (stories) على حساباتهم في منصة إنستچرام، والتي على إثرها فُصِل عشرات الطلبة فصلًا نهائيًّا أو مؤقّتًا، لفصل دراسيّ أو لفصلَيْن.[29] ورغم تبرئة عشرات الطلبة في الكلّيّات والجامعات وإغلاق الملفّات ضدّهم بعد انعقاد هذه اللجان، فإنّ انعقاد لجان الطاعة، الذي رافقه نشرُ أسماء الطلبة، وضعهم في خطر شديد بسبب التحريض عليهم، والذي بلغ حدّ إهدار دمهم بين زملائهم الطلبة اليهود، على نحوِ ما حصل من اعتداء جسديّ وتعريض حياة الطلبة العرب للخطر في مساكن الطلبة في كلّيّة نتانيا.[30]

وقد حُرِم الكثير من الطلبة من مواصلةَ تَلقّي دراستهم، بل مجرَّدَ الوصول إلى الحرم الجامعيّ، بعد كمّ كبير من التهديدات التي كانت تصلهم بعد نشر أسماء كثيرين منهم وصور منشوراتهم في وسائل التواصل الاجتماعيّ. وصل التحريض على الطلبة إلى لجنة التعليم في الكنيست؛ فقد عقدت اللجنة جلسةً ناقشت فيها قضيّة الطلبة العرب "داعمي الإرهاب"، كما ورد في نص الدعوة لعَقْد لجلسة. سادت في هذه الجلسة أجواء تحريضيّة، وذُكِرت خلالها أسماء بعض الطلبة العرب وحُرِّض عليهم، بل لقد بلغ الأمر حدّ التحريض على الجامعات ذاتها بذريعة أنّها حتّى تلك اللحظة لم تَقُمْ بطرد هؤلاء الطلبة. كذلك أتاحت لجنة التعليم عرض شرائح فيها أسماء وصور الطلبة وسط جوّ تحريضيّ لحِقَ بالطلبة العرب كافّة واتّهامات مختلفة لهم.[31]

أسهَمَ اتّحاد النقابات الطلّابيّة الإسرائيليّة، وهو المنتخَب مباشرةً من قِبل أعضاء مجالس النقابات في جميع الجامعات والكلّيّات في إسرائيل، في تصعيد التحريض على الطلبة العرب، حيث قام بإنشاء غرفة إدارة طوارئ يقوم من خلالها طلبة الجامعات اليهود بمراقبة زملائهم من الطلبة العرب ومنشوراتهم على مواقع التواصل الاجتماعيّ، كي يحاسَبوا لاحقًا.[32]

بالإضافة إلى هذا، توجّه اتّحاد النقابات إلى وزير التربية والتعليم، يوآف كيش، برسالة يطالب فيها بنصّ مشروع قانون يُشَرْعِن إلزام المؤسَّسات الأكاديميّة باتّخاذ إجراءات فصل، دون دفع تعويضات، ضدّ أيّ عضو من أعضاء في السلك الجامعيّ "يجرؤ على التعبير عن أيّ نقد لإسرائيل وسياستها".[33]

تنسجم هذه الملاحَقات مع اقتراح قانون، دعمه اتّحاد النقابات الطلّابيّة،[34] وقدّمه في تمّوز 2024 عضوُ الكنيست أوفير كاتس،[35] يهدف إلى فصل أيّ عضو هيئة تدريس يعمل داخل المؤسَّسة إذا أعرب عن دعمه لمنظَّمة إرهابيّة أو عمل إرهابيّ أو كفاح مسلَّح من قِبل دولة معادية أو من قِبل أفراد ضدّ دولة إسرائيل أو يحرّض على الإرهاب.[36]

من الجدير بالذكر أنّ الجامعات الإسرائيليّة رفضت اقتراح القانون هذا في موقف إجماع أصدره منتدى رؤساء الجامعات.[37] ويمكن تفسير موقف منتدى رؤساء الجامعات هذا بأنّه نابع من قلقه من الحملة الدوليّة الواسعة التي

28. في هذه اللجان، مثّلَ الطلبةَ في غالبيّة الملفّات مركزُ عدالة القانونيّ، بالتعاون مع محامين متطوّعين ومراكز قانونيّة منها مركز الميزان، بالإضافة إلى عدد من المحامين المتطوّعين الذين أسهموا في الدفاع عن الطلبة ومرافَقتهم في هذه اللجان.

29. لجنة المتابعة والتوثيق. مرجع رقم 27.

30. بويرات، أمير علي. (2023، 28 تشرين الأوّل). طلّاب عرب يتعرّضون لاعتداء من مجموعة متطرّفة وهتافات "الموت للعرب" في نتانيا. **عرب48**.

31. قناة الكنيست. (2024، 02 تمّوز). جلسة لجنة التعليم، الثقافة والرياضة– قسم أ. **قناة الكنيست**. [بالعبريّة]

32. اتّحاد النقابات الطلّابيّة الإسرائيليّة [התאחדות הסטודנטים והסטודנטיות הארצית]. (2023، 11 تشرين الأوّل). داعمو الإرهاب لن يكونوا جزءًا من الأكاديميا. **فيسبوك**. [بالعبريّة]

33. هآرتس. (2024، 09 حزيران). عارٌ على الطلّاب الجامعيّين. **هآرتس**.

34. زرحياه، تُسْفِي. (2024، 10 تمّوز). المصادقة بالقراءة الأولى على مقترح قانون يُلزِم بإقالة عضو هيئة تدريس محرِّض على الإرهاب. **كَلْكَلِيست**. [بالعبريّة]

35. قناة الكنيست. (2024، 10 تمّوز). الهيئة العامّة للكنيست– **قسم أ. قناة الكنيست**. [بالعبريّة]

36. الكنيست. (2024، 24 حزيران). مشروع قانون مجلس التعليم العالي (تعديل- فصل أعضاء هيئة التدريس بسبب التحريض على الإرهاب أو دعمه وخفض الميزانيّة)، 2024. **الكنيست**. [بالعبريّة]

37. ديتيل، ليئور. (2024، 17 حزيران). لجنة رؤساء الجامعات: اتّحاد الطلّاب يقدّم "إسكات أفواه المحاضرين". **دي ماركر**. [بالعبريّة]

كانت تعاني منها الجامعاتُ الإسرائيليّة في تلك الفترة، إثر الحراك الطلّابيّ العالميّ الناشط والداعم لفلسطين والمُطالِب بقطع العلاقات مع إسرائيل وإيقاف العلاقات مع الجامعات الإسرائيليّة. ويمكن دعم هذا الترجيح على ضوء نجاح هذه الضغوطات في إلغاء مشاريع مشترَكة للجامعات الإسرائيليّة مع مؤسَّسات أكاديميّة وجامعات في العالم، والضرر الماليّ الإستراتيجيّ، والإضرار بسمعة الأكاديميا الإسرائيليّة جرّاء ذلك. إذ يؤكّد تقرير نُشِر في صحيفة هآرتس، يعتمد في معطياته على لجنة رؤساء الجامعات الإسرائيليّة، أنّ ثمّة تعاظُمًا في حالات المقاطعة الأكاديميّة ضدّ الباحثين الإسرائيليّين، وصعوباتٍ في التعاون الأكاديميّ مع المؤسَّسات الأكاديميّة حول العالم. ويشير التقرير أنّه في الفترة الواقعة بين 7 تشرين الأوّل 2023 وَ7 تشرين الأوّل 2024، جرى الإبلاغ عن 300 شكوى من حالات مقاطَعة من قِبل المؤسَّسات الأكاديميّة في إسرائيل،[38] وفي الفترة ما بين تشرين الأوّل 2024 حتّى شباط 2025، كان هنالك أكثر من 200 شكوى من الجامعات الإسرائيليّة بشأن حالات مشابهة.[39]

لقد أقلق هذا السيناريو رؤساء الجامعات بشكل بالغ، وعبّروا عنه على نحوٍ دائم ومستمرّ خلال لقاءاتهم في اجتماعات رسميّة.[40] وقد يكون لقبولهم بمثل هذا القانون أن يزيد الطين بلّة وقد يزيد الضرر الذي اتّضح أنّ الجامعات بدأت تعاني منه في تلك الفترة.

يمكن ربط هذا الموقف، رفض رؤساء الجامعات بعض مقترَحات القوانين بالرغم من كونهم شركاء في الممارسات القمعيّة، مع سياسة الاحتواء والدمج التي انتهجتها المؤسَّسة الإسرائيليّة في العَقدَيْن الأخيرَيْن، وعلى وجه التحديد مع الطلبة العرب، والتي تأتي يدًا بيد مع سياسة الضبط الاقتصاديّ وتعزيز حالة من الوعي المصلحيّ المبتور بالمواطَنة الإسرائيليّة. تظهر هذه السياسات من خلال مشاريع مختلفة أقرّتها الحكومة الإسرائيليّة، وعلى رأسها رفع نسبة الطلبة العرب في مؤسَّسات التعليم العالي من خلال إطلاق مشاريع ومبادَرات عديدة عُرِفت ببرامج "تطوير ماليّة التعليم العالي للمجتمعات غير اليهوديّة". تماشت الجامعات مع هذه السياسات، وقامت بمَأْسَسة أقسام دمج ومتابعة الطلبة العرب في جميع الجامعات الإسرائيليّة، وقامت بتعيين نائبِ رئيس جامعة عربيٍّ، في جامعات حيفا وبئر السبع والقدس والتخنيون، مسؤولٍ عن قسم دمج الطلبة العرب.

تندرج هذه المشاريع تحت الخطّة الخمسيّة التي أقرّتها الحكومة الإسرائيليّة والبالغة قيمتها 15 مليار شيكل (ما يعادل 4 مليارات دولار)، والتي تهدف إلى "تطوير" المجتمع العربيّ في مجالات التعليم، والصناعة، ودعم المجالس المحلّيّة والإسكان والأمن الداخليّ، واحتواء أبناء هذا المجتمع اقتصاديًّا، وهو ما يُعَدّ أسلوبًا مؤسَّساتيًّا يرمي إلى احتواء اقتصاديّ لكبح جِماح النشاط السياسيّ والوطنيّ، ولا سيّما في قِطاعات الشباب، في المجتمع الفلسطينيّ في مناطق الـ 48.[41]

38. أودم، يعل. (2024، 10 تشرين الثاني). منذ الـ 7 أكتوبر: أكثر من 300 حالة مقاطَعة أكاديميّة ضدّ باحثين إسرائيليّين. **ماكو**. [بالعبريّة]

39. عوفاديا-كدري، شيرا. (2025، 25 شباط). الجامعات تبلّغ عن مئات حالات المقاطَعة الأكاديميّة وصعوبات في التعاونات في العالم. **هآرتس**. [بالعبريّة]

40. شارك الكاتب، كمركّز في الهيئة الطلّابيّة المشتركة، في عددٍ من هذه الاجتماعات.

41. ديوان رئيس الحكومة الإسرائيليّ. (2016، 26 تمّوز). الحكومة تقرّ خطّة الوسط العربيّ: تكلفة الخطّة نحو 15 مليار شيكل. **ديوان رئيس الحكومة الإسرائيليّ**. [بالعبريّة]

الهيئة الطلّابيّة المشترَكة للكتل الطلّابيّة

تشكّلت الهيئة الطلّابيّة المشترَكة للكتل الطّلابيّة في ظلّ هذه الأجواء وحالة الحرب المستمرّة التي عانى فيها الطلبة الجامعيّون الفلسطينيّون في مناطق الـ 48 معاناة كبيرة. ومن خلال قراءة الحركات الطلّابيّة لِما هو آتٍ، منذ بداية لجان الطاعة ومقدار التحريض الهائل، جاءت المبادرة لإقامة هيئة طلّابيّة وحدويّة، تتشكّل من سبعة وعشرين حراكًا طلّابيًّا فاعلًا، وشكّلت جسمًا يشمل الحراكات الطلّابيّة كافّة، وكان الهدف المركزيّ للهيئة التعامل مع الظروف المعقّدة التي يعيشها الطلبة الفلسطينيّون في الجامعات الإسرائيليّة. انطلقت اللجنة رسميًّا في أعقاب مبادرة الحركات الطلّابيّة الناشطة في مناطق الـ 48 إلى اجتماعٍ عُقِد في 14 تشرين الأوّل 2023 في مكاتب لجنة المتابعة العليا، وذلك ابتغاء تنظيم الطلبة ومحاولة حمايتهم ورفع صوتهم وتشكيل جسم يعمل بالتعاون مع جهات قانونيّة ودوليّة للتصدّي لهذه الحملة الواسعة التي طالت طلبة الداخل الفلسطينيّ الذين يَدرسون في الجامعات الإسرائيليّة. شمل البيان الأوّل بضعة مواضيع أهمُّها: "بناء وتنظيم هيئات طلّابيّة محلّيّة في مختلف الجامعات، لمجْمَل الحركات الطلّابيّة لتوسيع التواصل وتوحيد الجهود كما وتشكيل ضغط على الجامعات والكلّيّات ذات الصلة، بهدف منع استمرار التواطؤ مع الحملة على الطلبة العرب وبناء شراكة مع الحركات الطلّابيّة العالميّة لمنع الاستفراد بالطلبة العرب في الجامعات الإسرائيليّة".[42]

تبعت الاجتماعَ والبيانَ التأسيسيَّ اجتماعاتٌ في مختلف الجامعات والكلّيّات، وتشكيلُ لجان طلّابيّة محلّيّة في كلّ حرم جامعيّ على حِدَة. عملت هذه اللجان بالتنسيق مع لجنة المتابعة العليا والهيئة العربيّة للطوارئ التي واصلت العمل على نحوٍ مكثّف في فترة الحرب والحملة على الطلبة العرب، في محاولة لِمَأْسَستها وإعادة الاعتبار للهيئات التمثيليّة الطلّابيّة التي فُقِدت منذ سنوات.[43]

شملت هذه الهيئة سبعًا وعشرين حركة طلّابيّة فاعلة في مختلف الجامعات، وعملت، كما جاء في البيان التأسيسيّ، في سبيل حماية الطلبة وتنسيق العمل لتشكيل شبكة أمان لهم، وأهمّ ما قامت به هو المرافَعة الدوليّة، التي كانت من خلال التواصل مع جهات دوليّة عديدة والجامعات الشريكة للجامعات الإسرائيليّة والسفراء والدبلوماسيّين، بغية وقف حملة استهداف الطلبة العرب في الجامعات الإسرائيليّة لناء على موقفٍ أو منشور في وسائل التواصل الاجتماعيّ.[44] شكّلت هذه الخطوة تحوُّلًا في العمل الطلّابيّ، الذي لطالما انحصر داخل أسوار الجامعات، ليأخذ منحًى دوليًّا، وهو ما كان تحوّلًا هامًّا إلى حدٍّ كبير وأدّى إلى كبحٍ ما لحمْلة ملاحَقة الطلبة العرب، وأهمّها إعادة الطلبة في نتانيا إلى مساكنهم بعد تعنُّت إدارة المساكن بشأن عدم السماح بعودتهم بعد الاعتداء عليهم من قِبل أقطاب اليمين الفاشيّ، وقد تغيَّرَ موقف الكلّيّة في نتانيا على إثر ضغط قانونيّ محلّيّ ودوليّ من خلال جامعات شريكة لها.[45]

نجحت هذه المحاولات بسبب تخوُّف المؤسَّسات الأكاديميّة في إسرائيل من المقاطعة ووقف تعاونها العلميّ والأكاديميّ مع جامعات العالم المختلفة، وهذا ما حاولت الهيئة الطلّابيّة المشتركة استغلاله كأحد أهمّ العوامل الضاغطة الذي بدأ يُقلِق كذلك مؤسَّسات الدولة بصورة عامّة.

في كانون الأوّل 2023، أجرت الهيئة الطلّابيّة المشتركة استطلاعًا واسعًا في أوساط الطلبة شارك فيه أكثر من 800 طالب وطالبة من مختلف الجامعات والكلّيّات، عبّر فيه الطلبة بنسبة تقارب 50% عن عدم ثقتهم بالجامعات التي يَدْرسون فيها، وبنسبة أكثر من 70% أنّهم يشعرون بالملاحَقة لكونهم عربًا يَدْرسون فيها، كما أكّد أكثر من 65% من

42. الهيئة الطلّابيّة المشتركة. (2023، 14 تشرين الأوّل). بيان تأسيسيّ. **الهيئة الطلّابيّة المشترَكة**. (محفوظ لدى الكاتب).

43. كمثال على لجنة طلّابيّة محلّيّة، انظروا: مجموعة الطلّاب والطالبات العرب في جامعة حيفا [الطلّاب والطالبات العرب في جامعة حيفا]. [د.ت]. **فيسبوك**. مجموعة الطلّاب والطالبات العرب في جامعة حيفا.

44. عرب48. (2023، 29 تشرين الأوّل). الهيئة المشترَكة تدوّل قضيّة ملاحَقة الطلّاب العرب في المعاهد والجامعات. عرب48.

45. عوفاديا-كدري، شيرا؛ وأبو لبن، نادين. (2023، 30 تشرين الثاني). إدارة مساكن الطلّاب في كلّيّة نتانيا بدأت بإعادة الطلّاب العرب الذين أُخرِجوا بضغط من البلديّة. هآرتس. [بالعبريّة]

الطلبة أنّ الجامعات وإداراتها لم تكن منْصِفة في التعامل معهم، وأنّهم عانَوْا من عنصريّة واضحة، وأكّد أكثر من 90% من المستطلَعين أنّ النقابة الطلّابيّة الإسرائيليّة لا تمثّلهم رغم كونهم يُجبَرون في الكثير من الجامعات على تمويل هذه النقابة سنويًّا من خلال قسط التعليم الجامعيّ.[46]

بالرغم من عمل الهيئة الطلّابيّة المشترَكة المهمّ، انحصر عملها في الدفاع عن النفس ومحاولة وقف الهجمة على الطلبة العرب في الجامعات، ولكنّها لم تبادر خلال الأشهر الستّة منذ بداية الحرب على قِطاع غزّة في تشرين الأوّل 2023 إلى نشاطات سياسيّة أو وقفات أو تظاهرات كما جرت العادة سابقًا في الأحرام الجامعيّة. وهو ما قد يعكس أنّ العمل الطلّابيّ الوطنيّ، الذي كان أساسه في السنوات السابقة رفع الوعي السياسيّ وتفعيل شريحة الطلّاب سياسيًّا، قد شهد حالة انكماش وخوف وتراجع معيَّن بسبب حالة القمع الواسعة على صعيد الداخل بصورة عامّة، والتي كان فيها الطلبة الجامعيّون من بين الفئات الأكثر تضرُّرًا.

شرارة العودة

عادت شرارة التحرُّك والفعل السياسيّ إلى الحركات الطلّابيّة في التظاهرة الطلّابيّة في الجامعة العبريّة بالقدس في 14 آذار 2024، والتي بدأت كوقفة ضدّ ملاحقة البروفيسورة نادرة شلهوب-كيفوركيان، المحاضِرة في الجامعة العبريّة بالقدس، واعتقالها.[47] وقد تحوّلت هذه الوقفة إلى صرخة ضدّ الحرب على قِطاع غزّة، أنشد فيها الطلبة نشيد "موطني" وعبّروا عن موقفهم الرافض للحرب من داخل الحرم الجامعيّ بالقدس، وهو ما قد يصحّ اعتباره بداية عفْويّة لإحلال تغيير في قواعد اللعبة التي حاولت السلطاتُ الإسرائيليّة فرْضَها؛ إذ لم يكن متاحًا، في ذلك الوقت وبعده، أن يتظاهر الطلبة داخل الأحرام الجامعيّة. تلتْ ذلك نشاطاتٌ أخرى في جامعة تل أبيب في إحياء ذكرى النكبة.[48] ورغم كونه نشاطًا متواضعًا في ظلّ عطلة الجامعة، إلّا أنّه كان ذا أهمّيّة كبيرة في هذه الظروف وليس بديهيًّا إطلاقًا في ظلّ أجواء الخوف والترهيب وفي خضمّ الحرب المستمرّة على قِطاع غزّة. منعت الشرطة في هذا النشاط رفع الأعلام الفلسطينيّة، غير أنّ حدث إحياء النكبة في جامعة تل أبيب جرى على الرغم من التحريض ومحاولات المنع والتضييق من قِبل الشرطة.

في أيّار 2024، بادرت الهيئة الطلّابيّة المشترَكة إلى إضراب لمدّة ساعة واحدة واعتصامات جرت في غالبيّة الجامعات، منها: الجامعة العبريّة في القدس؛ جامعة تل أبيب؛ معهد الهندسة التطبيقيّة ("التخنيون" - في حيفا)؛ جامعة بِنْ چوريون في بئر السبع، "رفضًا للإبادة والمجازر المستمرّة بحقّ أهلنا في غزّة"- كما عبّر عن ذلك بيان الهيئة الطلّابيّة المشترَكة.[49]

في هذا الوقت، انتقلت الحركة الطلّابيّة من حالة الدفاع عن النفس إلى المبادَرة. في المقابل، قوبِلَت المبادرات بحظرٍ وعدم إعطاء تصاريح لنشاطات طلّابيّة سياسيّة -سواء أكان ذاك بالعلن أَمْ بالسرّ- من قِبل الجامعات الإسرائيليّة.

حاولت الجامعات، بشكل أو بآخر، تشكيل شبكات ضغط على الطلبة بوسائل مختلفة، من خلال محاضرين أو هيئات إداريّة أو مسؤولي الأمن في الجامعات، وكثر استخدام لهجة التهديد بأنّ أيّ نشاط سياسيّ من الممكن أن يكون لإقامته ثمنٌ باهظ جدًّا، وسيُمنع بالقوّة وإن استدعى ذلك إدخال الشرطة إلى الحرم الجامعيّ (وذاك يتنافى مع النظام الداخليّ للجامعات)؛ وهو ما أدّى بالحركات الطلّابيّة إلى إعادة النظر في بعض النشاطات التي كانت قد أعلنت عنها في الأسابيع التي تلت الإضراب.[50] في المقابل، شهدت تلك الفترة تصاعدًا أيضًا في محاولات الجامعات لاحتواء الطلبة الفلسطينيّين،

46. عرب48. (2023، 27 كانون الأوّل). استطلاع: 76% من الطلّاب العرب لا يثقون بإدارة الجامعة أو الكلّيّة. عرب48.

47. عرب48، (2024، 14 آذار). وقفة احتجاجية ضد إيقاف بروفيسور نادرة شلهوب كيفوركيان عن العمل بالجامعة العبرية. عرب48.

48. بانيت؛ وصحيفة بانوراما. مرجع رقم 15.

49. عرب48. (2024، 27 أيّار). الهيئة الطلّابيّة المشترَكة تدعو إلى إضراب طلّابيّ ردًّا على المجازر في غزّة. عرب48.

50. حصل الكاتب على هذه المعلومات من خلال دَوْره كمركّز لعمل الهيئة الطلّابيّة المشترَكة.

فكان أن أكثرت إدارات الجامعات من الدعوة إلى عَقْد لقاءات حِواريّة مع مندوبي الحركات الطلّابيّة تحاول من خلالها "احتضانهم". تأتي محاولات "الاحتضان" هذه بغيةَ تقليل الضرر على الجامعات في أعقاب حالة التخوُّف التي تعيشها إداراتها على ضوء التحرُّك الطلّابيّ الدوليّ الذي وضع الجامعات الإسرائيليّة في خانة الاتّهام والدفاع عن النفس، ومحاولةً لمنع أيّ ضرر عالميّ.

يمكن فهم السياسات التي انتهجتها المؤسَّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة تجاه الطلبة العرب ضمن سياسة العصا والجزرة؛ فهي لا تريد لهم أن ينشطوا ويتفاعلوا مع قضايا الشعب الفلسطينيّ في الأحرام الجامعيّة الإسرائيليّة التي تحوّلت إلى ثكنات عسكريّة من خلال حمل السّلاح فيها، وبخاصّة في فترة الحرب، وفي الوقت ذاته تحاول الحفاظ عليهم كونهم يشكّلون دخلًا اقتصاديًّا هامًّا لها. يضاف إلى هذا، الخطرِ المحْدِق بمكانة الجامعات الإسرائيلية عالميًّا في ظلّ سياسات التضييق والملاحَقة للطلبة العرب على وجه الخصوص.

خاتمة

شكّلت حملة الملاحَقة الأخيرة ذروة التضييق المؤسَّساتيّ الحكوميّ والجامعيّ على النشاط والفضاء الجماعيّ الوطنيّ الطلّابيّ الفلسطينيّ في الجامعات الإسرائيليّة، سواء أكان ذاك من خلال قَوْنَنة الممارَسات الفاشيّة أَمْ من خلال الممارَسات الإداريّة للجامعات التي تراوحت بين سياساتِ القمع الأشبه -إلى حدّ كبير- بِدَوْر الشرطة أو المحكمة، من ناحية، ومحاوَلاتِ التدجين والتطويع، من ناحية أخرى، تماشيًا مع خطط الدمج التعليميّ وإطلاق المبادَرات الاحتوائيّة تحت شعار "دمج العرب في التعليم العالي".

تعيش الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في مناطق الـ 48 ملاحَقة واسعة ومحاولات مستمرّة لتقييد عملها أو قصره على الجانب الخدماتيّ والاجتماعيّ دون الانخراط في الجانب السياسيّ. حيث لحقتْ كلّ نشاط سياسيّ وطنيّ لهذه الحركة، يرتبط مع العمق الفلسطينيّ، هجماتٌ تحريضيّة، واستهدافٌ للطلبة بلغ حدّ الاعتقال، وهو ما برز على نحوٍ بالغٍ منذ بدء حرب الإبادة في السابع من أكتوبر 2023 التي رافقتها حملة واسعة تستهدف الطلّاب والطالبات العرب وتحرّض عليهم وتحاول ترهيبهم. أدّى هذا، في ما أدّى، إلى انحسار وتراجع في الأداء السياسيّ المناهِض للحرب منذ بداية حرب الإبادة على قِطاع غزّة على صعيد الحركة الطلّابيّة على وجه الخصوص، وعلى صعيد الداخل الفلسطينيّ على وجه العموم. حاولت الحركات الطلّابيّة، من خلال الانكفاء عن العمل السياسيّ، أن تَخْرج من هذه الأزمة بسلام، وهو ما مثّل موقف غالبيّة الحركات الطلّابيّة، وبالتالي يمكن الادّعاء أنّ حملة الملاحَقة السياسيّة نجحت إلى حدّ كبير في كبح جماح الحركة الطلّابيّة في العام الدراسيّ (2024/2023)، حتّى بلغت الأمور حدّ عزوف عدد من الناشطين الطلّابيّين المركزيّين فيها نتيجة التهديد والخوف، وفي بعض الأحيان بضغط من أوساطهم الاجتماعيّة، وكذلك خوفًا من الملاحَقة السياسيّة ودفع الثمن العالي المتوقَّع.

من الجدير بالتأكيد أنّ هذه الحالة لم تكن مفصولة عمّا كان من حملة تحريض واستهداف للحركة الطلّابيّة في ما قبل الحرب على قِطاع غزّة؛ فقد عانت الحركة الطلّابيّة أيضًا من ملاحَقة فعليّة وتضييق على عملها واستهداف لناشطيها وتهديدات متعدّدة من حركات يمينيّة فاشيّة، بالإضافة إلى تلك التهديدات التي صدرت من قيادات إسرائيليّة على منصّات الكنيست للطلبة العرب على نحوٍ خاصّ، فضلًا عن القوانين التي استهدفت نشاطها وعملت على كبح جماحها والحدّ من قدرتها على النشاط السياسيّ والوطنيّ ومنع الرموز الفلسطينيّة كالعلم وغيره.

رغم أنّ الحراك الطلّابيّ العالميّ كان بإمكانه أن يشكّل ملهِمًا للحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في الداخل، وأنّ ناشطيها رأَوْه ملهِمًا حقًّا ومحطَّ تَباهٍ وتفاخُرٍ به، فقد شخّص هؤلاء الناشطون -بشكلٍ ما- حالةَ المؤسَّسة الإسرائيليّة خاصّة، والمجتمع الإسرائيليّ عامّة التي تسودها دعوات إلى الانتقام والتحريض والملاحَقة لكلّ صوتٍ يرفض الجرائم

الإسرائيليّة المرتكَبة ضدّ الفلسطينيّين في قِطاع غزّة، واعتقدوا أنّه إذا جرى استنساخ الحراك الطلّابيّ في الجامعات الأمريكيّة والأوروبيّة فسيكون الثمن الذي سيدفعه الطلبة الفلسطينيّون باهظًا جدًّا.

عاشت الحركة الطلّابيّة الفلسطينيّة في مناطق الـ 48 في هذه الفترة تراجعًا لافتًا يُقِرّ به العديد من الناشطين والفاعلين، وعلى وجه التحديد في الأشهر الأولى التي أعقبت بداية حرب الإبادة (الأشهر التي شهدت ذروة الملاحَقة لشريحة الطلبة). وقد تقاطَعَ هذا التراجع تقاطعًا كبيرًا مع أداء القيادة السياسيّة للمجتمع العربيّ في الداخل والأحزاب السياسيّة الفاعلة فيه. ذلك لا يمكن إغفال التأثير المباشر لهبّة أيّار 2021 والثمن الباهظ الذي دفعه عشرات الشباب الفلسطينيّ في الداخل، وسنوات السجن والأحكام القاسية التي فُرِضت عليهم والتي عملت النيابة والمؤسَّسة الإسرائيليّة حثيثًا عليها كي تكون رادعًا للشباب الفلسطينيّ في الداخل، وعدم توافر دعم مجتمعيّ سياسيّ كبير لهم ولعائلاتهم.

مع هذا، كان نشاط الحركة الطلّابيّة، في بعض الحالات، نشاطًا شجاعًا ومتحدّيًا للمؤسَّسة الإسرائيليّة ومتلاحمًا مع الشعب الفلسطينيّ والتحدّيات التي يعيشها، ومعبّرًا عن هُويّته وانتمائه لهذا الشعب؛ إذ حاول البعض إقامة نشاطات تعكس مسارًا ووعيًا وطنيًّا يعيشه الشباب الفلسطينيّون في الداخل الفلسطينيّ.

يبقى المحكّ الحقيقيّ للحركات الطلّابيّة على نحوٍ خاصّ، وربّما للعمل السياسيّ والوطنيّ الفلسطينيّ في الداخل على وجه العموم، في الفترة القادمة هو محاولة النهوض ومواصلة النشاط والمناورة وعدم الرضوخ والقبول والاستسلام حيال السقف الذي فرضته المؤسَّسة الإسرائيليّة في السنوات الأخيرة التي سبقت الحرب على قِطاع غزّة وما أعقبها، وبخاصّة على ضوء التغيير الكبير الذي يمرّ فيه المجتمع الإسرائيليّ نحو فاشيّة أكثر وعنصريّة أكثر وتصاعُد العدائيّة لكلّ ما هو عربيّ وفلسطينيّ، والذي شاركت فيه أيضًا الجامعات الإسرائيليّة من خلال حملة كَمّ الأفواه والملاحَقة والتخابُر على الطلبة والمحاضِرات/ين. نعيش اليوم حالة من التحدّي الهائل الذي من شأنه أن يحدّد مستقبل العلاقة بين الطلبة الفلسطينيّين والحركة الطلّابيّة والأكاديميّين الفلسطينيّين في مناطق الـ 48 من ناحية، والمؤسَّسات الأكاديميّة الإسرائيليّة من ناحية أخرى.

مدى الكرمل
المركز العربي للدراسات
الاجتماعية التطبيقية